ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. majeed kh. Rahi

Wasit University \ College of Education

Dr. enaam lababidi

University of Aleppo\ Faculty of Arts

Email: Jaiuwudh23@gmail.com

Keywords:

The verb, "howie", transitivity, immanence

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 22.DEC.2023

Accepted 21.JAN.2024

Published 10.FEB.2024

The verb "hayya" is between transitivity and immanence

A B S T R A C T

The phenomenon of transitivity and immanence in Arabic has an important aspect in the field of morphological and grammatical studies, and it has a clear place in the grammatical code, as scholars divided verbs into two parts:

One of them: the intransitive verb: it is called the minor and non-transitive, because it bound the verb and did not move it to the object. Sibawayh called it the subject whose action does not exceed it, like: Zaid went, and Amr sat, and its meaning is that which does not set one or more objects by itself. Like: He went out, sat down, and slept.

As for the second, it is the transitive verb, and it is called the actual and transitive verb, meaning its trace goes from the subject to the object, and this trace goes beyond to its accusative, like the Almighty saying, "And when Zayd had finished with her, We made her in marriage.

Among the verbs are those that are described as both transitive and intransitive, because it is used in two ways. Sometimes it is transitive, so it becomes the direct object, and other times it is intransitive by inserting the preposition into it, such as: I thanked him and I thanked him, I advised him and I advised him, I weighed him and I weighed for him.

Among that verb is "he fell." What is known about it is that it is a transitive verb, and it may be intransitive. If you had a desire, and you announced it, and you said: I fell, and you want to reveal what has befallen you of distress that takes hold of the heart, then the verb is intransitive, with which you reveal what concealed you from an inner symptom. And if you were the subject of a desire, and you said: His identity in transgression, then you intended to go beyond revealing what befell you of his desire and patience to express what was the object of your desire, and you say in the adjective of him: I am an amateur, a participle indicating the occurrence. This is the analogy.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol54.Iss1.3805

الفعلُ "هَوِيَ" بين التعدّي واللُّزوم

أ.د. مجيد خيرالله راهي الدكتورة. إنعام لبابيدي

جامعة واسط /كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة حلب / كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مستخلص :

لظاهرة التّعَدّي واللّزوم في العربيّة جانب مهمّ في حقل الدراسات الصرفية والنحوية ، ولها حيز واضح في المدوّنة النّحويّة ، إذ قسّمَ العلماء الأفعال على قسمين:

أحدُهما : الفعل اللازم : ويقالُ له القاصر، وغير المتعدّي ، لأنَّهُ قد لزم الفعل ، ولم يتعدَّهُ إلى المفعول به ، وسمّاهُ سيبويه بأنَّهُ الفاعل الذي لا يتعدّاهُ فعلُهُ ، نحو : ذهَبَ زيدٌ ، وجلسَ عمروٌ ، ومعناه ما لا ينصبُ بنفسه مفعولاً به أو أكثر ، نحو : خرجَ ، وقعدَ ، ونامَ .

أمّا الثّاني فهو الفعلُ المتعدّي ، ويسمّى الواقع والمجاوز ، أي وقع أثرُهُ من الفاعل إلى المفعول به ، وجاوزَ هذا الأثر إلى منصوبه ، نحو قوله عزّ وجلّ : "فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا".

ومن الأفعال ما يوصف بالتّعدي واللزوم معاً ، لاستعماله على وجهين ، فيردُ حيناً متعدياً ، فينصب المفعول به مباشرة ، ويردُ حيناً آخر لازماً بدخول حرف الجرّ عليه ، نحو : شكرْتُهُ وشكرْتُ له ، ونصَحْتُهُ ونصَحْتُ له ، ووزنْتُهُ ووزَنْتُ له .

ومن ذلك الفعل "هَوِيَ" ، فالمشهورُ فيه أنَّهُ فعل متعدّ ، وقد يأتي لازماً ، فإذا كُنْتَ ذا هَوَى ، فأخبرْتَ به ، فقُلْتَ : هَوِيْتُ ، وأنتَ تُريدُ أنْ تفصحَ عمّا حلَّ بك من كلفٍ يأخذ بمجامع القلب فالفعلُ لازمٌ تكشفُ به عمّا غَشيكَ من عَرض باطن ، وأنتَ إذا كنْتَ ذا هوى ، فقلتَ: هَوِيْتُهُ على التّعدّي ، فقد قصدْتَ أن تتجاوز الكشفَ عمّا حلَّ بك من وَلَهٍ وصَبوة إلى الإعراب عن الذي كان محلّ هواك ، وتقول في الصّفة منه : فأنا هاوٍ ، اسم فاعل يدلُّ على الحدوث ، هذا هو القياس.

الكلمات المفتاحية : الفعلُ ، "هَوِيَ" ، التعدّي ، اللُّزوم .

لظاهرة التّعَدّي واللّزوم في العربيّة جانب مهمّ في حقل الدراسات الصرفية والنحوية ، ولها حيز واضح في المدوّنة النّحويّة ، إذ قسّمَ العلماء الأفعال على قسمين:

أ- الفعل اللازم : ويقالُ له القاصر ، وغير المتعدّي ، لأنَّهُ قد لزم الفعل ، ولم يتعدَّهُ إلى المفعول به ، وسمّاهُ سيبويه بأنَّهُ الفاعل الذي لا يتعدّاهُ فعلُهُ ، نحو : ذهَبَ زيدٌ ، وجلسَ عمروٌ ، ومعناه ما لا ينصبُ بنفسه مفعولاً به أو أكثر ، نحو : خرجَ ، وقعدَ ، ونامَ (سيبويه ١/ ٣٣) .

ويعرفه السيوطي بأنَّهُ :(القاصرُ وغير المتعدّي للزومهِ فاعلَهُ وعدم تعدّيه إلى المفعول به ، وما لا ينبني منه مفعول تام ، أي بغير حرف جرّ ، كغَضِبَ فهو مغضُوبٌ عليه ، بخلاف المتعدّي ، ويقالُ له الواقع : الواقع ، والمجاوز ، فإنّهُ يبنى منه اسم مفعول بدون حرف جرّ ، كضَرَبَ ، فهو مَضْرُوبٌ) (السيوطي ، ١٠/٥).

فاللازم يتوقف فهم معناه على فاعله فقط دون الحاجة إلى مفعول به ، إذ هو قاصرٌ عن الوصول إليه بنفسه ، وإنّما يصل إليه بواسطة .

ب– أمّا الفعلُ المتعدّي فيسمّى الواقع والمجاوز ، أي وقع أثرُهُ من الفاعل إلى المفعول به ، وجاوزَ هذا الأثر إلى منصوبه ، نحو قوله عزّ وجلّ "فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا" (الأحزاب : ٣٧).

فكلمة "وطَراً" مفعول به ، وتأخّر في موقعه عن الفاعل ، وقد يتقدّمُ على الفاعل ، نحو قوله تعالى :" إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ" (البقرة : ١٢٥) ، فـ"إبراهيمَ" مفعول به تقدّم على الفاعل ، وهو "رَبُّهُ" .

وعلى ذلك فالمتعدّي هو الذي ينصبُ المفعول به ، وسمّاهُ سيبويه أنَّهُ :(الفاعلُ الذي يتعدَّاهُ فعلُهُ إلى مفعوله ، وذلك قولك : ضرَبَ عبدُاللهِ زيداً ، فـ"عبدُاللهِ" ارتفعَ ههنا كما ارتفع في "ذهَبَ" ، وشغلْتَ "ضربَ" به ، كما شغلت به "ذهبَ" ، وانتصبَ زيدٌ ، لأنّهُ مفعول تعدّى إليه فعلُ الفاعل) (سيبويه : ٣٤/١).

وحدَّهُ ابن يعيشُ في قوله :(المتعدّي : ما يفتقرُ وجودُهُ إلى محلّ غير الفاعل ، والتّعدّي : التّجاوزُ ، يقالُ : عدا طورَهُ ، أي تجاوزَ حَدَّهُ ، أي إنّ الفعل تجاوز الفاعل إلى محلّ غيره ، وذلك المحلّ هو المفعول به ، وهو الذي يحسن أن يقع في جواب بمَنْ فعلْتَ ، فيقال : فعلْتُ بفلانٍ ، فكلُّ ما أنبأ لفظُهُ عن حلوله في حيز غير الفاعل ، فهو متعدّ ، نحو : ضرَبَ وقتَلَ ، ألا ترى أنَّ الضَّرْبَ والقَتْلَ يقتضيانِ مَضْرُوباً ومَقْتُولاً ، وما لم ينبئ لفظُهُ عن ذلك فهو لازم غير متعدٍّ ، نحو : قامَ وذهبَ ، ألا ترى أنّ القِيامَ لا يتجاوزُ الفاعلَ ، وكذلك الذَّهابَ) (ابن يعيش : ٦٢/٧).

وقد وضع النحويّونَ للفعل المتعدّي علامتين تميّزُهُ عن اللازم وهما :

١– أن يتصلَ بالفعل ضمير يرجع إلى غير المصدر أو الظرف ، كقوله عزّ وجلّ : "وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ" (الحجر : ٢٧) ، فالضميرُ في "خلقَ" عاد على المفعول به السابق ، وهو "الجان" ، وهو ليس مصدراً ، ولا ظرفاً.

٢– أن يصاغَ منه اسم مفعول تامّ من الفعل المراد معرفة تعديته أو لزومه ، بغير حاجة إلى جار ومجرور ، نحو : الكتابُ مفهُومٌ ، فالفعل "فَهِم" متعدّ لصياغة اسم المفعول "مَفْهُوم" منه ، من دون حاجة إلى جار ومجرور ، لتتمَّ الصّياغة نحو : المنزلُ مَجْلُوسٌ فيه ، والبيتُ مَنُوْمٌ فيه ، فهما لازمانِ.

وهاتانِ العلامتانِ مَيَّزَتا المتعدّي من اللازم ، فاتّصال الفعل بالضمير العائد على غير المصدر والظرف خاصّ بالمتعدّي ، وكذلك صياغة اسم مفعول تامّ منه تميزه من اللازم ، وما عدا ذلك فهو لازم.

ومن الأفعال ما يوصف بالتّعدي واللزوم معاً ، لاستعماله على وجهين ، فيردُ حيناً متعدياً ، فينصب المفعول به مباشرة ، ويردُ حيناً آخر لازماً بدخول حرف الجرّ عليه ، نحو : شكرْتُهُ وشكرْتُ له ، ونصَحْتُهُ ونصَحْتُ له ، ووزنْتُهُ ووزَنْتُ له ، وأنكرَهُ بعض العلماء ، وأدخلَهُ في اللازم ، لأنّ أصلَهُ يستعمل بحرف الجرّ ، وكثر فيه الأصل والفرع ، وأيَّدَ هذا الرّأي ابن عصفور (السيوطي ٩/٥) ، وأدخلَهُ بعضُهم في المتعدّي ، لأنّ الأصل تعديته بنفسه ، وحرف الجرّ زائد ، قال ابن درستويه :(أمَّا نصحْتُ وشكرْتُ فإنَّهما يتعدّيانِ وأشباهُهما بغير اللام ، وإنّما تدخلُ اللامُ فيهما ، ليُعَدّيا بها إلى مفعول آخر ، غير ما يُعَدَّيانِ إليه بأنفسهما ، كقولكَ : شكرْتُ لفلانٍ فعلَهُ ، وشكرْتُ له برَّهُ ، وشكرْتُ له معروفَهُ ، فالفعلُ والبرُّ والمعروف مفعولات لـ"شكرْتُ" بغير حرف جرّ ، وفلانٌ يتعدَّى إليه الفعل بحرف الجرّ ، وليس في الدّنيا عربيّ ولا نحويّ يزيد اللام في هذا المفعول ، الذي يتعدّى الفعلُ إليه ، فتقولُ : شكرت لفلانٍ معروفَهُ ، فإنْ شئتَ اقتصرْتَ على أحد المفعولين ، فقلتَ : شكرْتُ فلاناً ، أو شكرْتُ معروفَ فلانٍ ، فكان كلاماً تامّاً مستقيماً ، لأنّهُ في الأصل لا يتعدّى إلّا إلى مفعول واحد) (ابن درستويه :١٦٨–١٦٩).

فأصلُ "نصحَ" و"شكرَ" عند ابن درستويه أن يكونا متعدّيينِ بأنفسهما إلى مفعول واحد ، ويتعدّيا إلى الآخر بحرف الجرّ ، والأصلُ فيهما : نصحْتُ لزيدٍ رأيَهُ ، وشكرْتُ له معروفَهُ ، وهذا القسمُ مقصور على السّماع ، فلا يجوز قياس أفعال على الوارد .

ومن ذلك الفعل "هَوِيَ" ، فالمشهورُ فيه أنَّهُ فعل متعدٍّ ، جاء في المحكم :(وقد هَوِيَهُ هَوَى ، فهوَ هَوٍ) (ابن سيده : ٣٢٨/٤) ، وفي المصباح :(والهَوَى مقصورٌ مصدر هَوِيْتُهُ من باب تَعِبَ ، إذا أحْبَبْتَهُ ، وعَلِقْتَ به ، ثم أُطْلِقَ على ميل النَّفسِ وانحرافِها نحو الشَّيء) (الفيومي : هوي).

فهل هذا هو الأصلُ فيه ، أو أنَّ له جذراً في اللزوم ، يتّصلُ به ؟

أقولُ : إذا كُنْتَ ذا هوَى ، فأخبرْتَ به ، فقُلْتَ : هَوِيْتُ ، وأنتَ تُريدُ أنْ تفصحَ عمّا حلَّ بك من كلفٍ يأخذ بمجامع القلب ، وتُبَيّنَ عمّا خامركَ من جَوَى يستوقدُ الضّلوعَ ، ويأسرُ الفؤادَ ، فالفعلُ لازمٌ تكشفُ به عمّا غَشيكَ من عرَضٍ باطن ، واستبدَّ بك من داءٍ كامن.

قال المبرد:(إذا قُلْتَ: فَعِلَ يَفْعَلُ فَعَلاً ، فالاسمُ منه على فَعِلٍ، نحو: فَرِقَ يَفْرَقُ فَرَقاً ، فهو فَرِقٍ ، وحَذِرَ يَحْذَرُ حَذَراً فهو حَذِرٌ، وبَطِرَ يَبْطَرُ بَطَراً فهو بَطِرٌ، فعلى هذا شَجِيَ يَشْجَى شَجَى ، فهو شَجٍ ، كما تقولُ: هَوِيَ يَهْوَى هَوَى ، فهوَ هَوٍ) (المبرد : ٣٤٥/١).

فأورده المبرد مورد اللازم ، وهم جَرَوْا على أنْ يبيّنوا لزوم الفعل بمجيء صفته على "فَعِلٍ" ، وأنْ يستشهدوا على تعدّيه بمجيء وصفه على "فاعِل" ، وقد صرّحَ العلماء بلزوم "هَوِيَ" وتعدّيه ، قال ابن القوطية :(هَوِيَ الشَّيءَ هَوَى : أحبَّهُ ، وفي دينٍ أو مذهبٍ أو عشقٍ : استعبَدَهُ ذلك) (ابن القوطية : ٢٨) ، فقد ذكر الفعل "هَوِيَ" متعدياً في قوله : هَوِيَ الشَّيءَ إذا أحبَّهُ ، وذكَرَهُ لازماً في قوله : هَوِيَ في دينٍ أو مذهبٍ أو عشقٍ إذا ولع به ، وأسرَهُ ، واستبدَّ به.

وأنتَ إذا كنْتَ ذا هوى ، فقلتَ : هَوِيْتُهُ على التّعدّي ، فقد قصدْتَ أن تتجاوز الكشفَ عمّا حلَّ بك من وَلَهٍ وصَبوة إلى الإعراب عن الذي كان محلّ هواك ، وموضع صبابتك وسبب هيامك ، وتقول في الصّفة منه : فأنا هاوٍ ، اسم فاعل يدلُّ على الحدوث ، هذا هو القياس (الزعبلاوي : ٢٨٣).

على أنَّ العلماء لم يذكروا صفةً من الفعل "هَوِيَ" غير "هَوٍ" ، سواء أكان الفعلُ لازماً أم متعدّياً ، ففي القاموس :(هَوِيَهُ كرَضِيَهُ هَوًى ، فهو هَوٍ ، كعمٍ : أحبَّهُ) (الفيروز آبادي : هوي) ، وجاء في التاج :(وهَوِيَهُ كرَضِيَهُ يَهْوَى هَوًى ، فهو هَوٍ ، كعمٍ : أحَبَّهُ) (الزَّبيدي : هوي) ، وجاء في اللسان :(هَوِيَهُ هوًى ، فهو هوٍ) (ابن منظور : هوي).

وبذلك أثبت العلماء الفعل متعدّياً ، وأتَوا بالوصف منه على معنى اللزوم ، على أنّ القياس الظاهر أن يقولوا : هَوِيَهُ ، فهو هاوٍ ، لكنهم جاؤوا بالصفة على اللزوم منعاً للالتباس بكلمة "هاوٍ" الوصف المأخوذ من مصدر الفعل "هَوَى يَهْوِي" بمعنى سقط .

ولذلك يخطّئ الدكتور مصطفى جواد من يقول : هذا هاوِي طوابعَ ، ويقول : إنّ الصّوابَ هو : هذا هَوِي طوابعَ ، وهؤلاء هَوُوا طوابعَ ، وهو الهَوِي ، وهم الهَوُوْنَ ، ذلك لأنَّ الهَوَى أقربُ إلى العاداتِ منه إلى الحالات العارضات ، فينبغي أن تصاغ له صفة مشبّهة على وزن "فَعِل" (جواد : ٩٥).

ويعتمد الدكتور جواد في ذلك على المعجمات التي تقول : "هَوِيَهُ يَهْواهُ ، فهو هَوٍ" ، أمّا الهاوِي فهو اسم فاعل من الفعل "هَوَى يَهْوِي هُوِيّاً" ، أي سقط إلى أسفل ، فالهاوِي هو السّاقِطُ ، والهُواةُ هم السّقاطُ .

ومن هذا الباب قولُ العلماء : إنّ "سَخِطَهُ" مثل "سَخِطَ منه" ، والصفة منه "ساخِط" ، وعدّوا هذا الوصف أنّهُ جاء على غير بابه ، ذلك أنَّ "سَخِطَهُ" مُدْخَل في باب التّعدّي ، وليس منه ، لأنّهُ على معنى اللزوم ، تقول : سَخِطَ فلانٌ على فلانٍ إذا غَضِبَ ، فهو فعلٌ لازمٌ كما تقول : أسخَطْتُهُ بمعنى أغضَبْتُهُ ، فهو فعلٌ متعدٍّ ، ففي كتاب الأفعال لابن القطاع :(وسَخِطَ الشَّيْءُ وعليه سُخْطاً وسَخَطاً ضدّ رَضِيَ) (ابن القطاع : ٢٥٣).

وجاءَ "سَخِطَهُ" بمعنى: كَرِهَهُ وأنكرَهُ ، أي لم يَرْضَهُ ، ففي المحكم :(سَخِطَ سَخَطاً ، وتسخَّطَ ، وسَخِطَ الشَّيءَ سَخَطاً : كَرِهَهُ) ، (ابن سيده : ٤٤/٥) ، وفي الأساس :(وأعطاهُ قليلاً فتسخَّطَهُ : لم يَرْضَهُ ، وسَخِطَهُ ، وعطاءٌ مَسْخُوطٌ : مَكْرُوهٌ) ، (الزمخشري : سخط) .

على أنَّهُ جاء "سَخِطَهُ" بمعنى "سَخِطَ منه أو عليه" ، فهو متعدٍّ في لفظه ، لازمٌ في معناه ، وجاء الوصف منه على "ساخِط" ، والأصلُ ألّا يأتي الوصفُ على "فاعِل" من "فَعِل" اللازم ، ولذا اعتدّوا "ساخِطاً" من "سَخِطَهُ" لا من "سَخِطَ منه" ، وإنْ كانَ "سَخِطَهُ" متعدّ في اللفظ لا في المعنى ، لأنّ تعديته كانت بحذف حرف الجرّ.

وكذلك فعلوا في "خَشِيَهُ" و"خَشِيَ منه" ، فجعلوا الصفة من الفعل "خاشياً" ، وعدّوا هذا الوصف أنّهُ جاء على غير بابه ، جاء في الصحاح :(خَشِيَ الرّجلُ يَخْشَى ، أي خَافَ ، فهو خَشْيانُ ، والمرأةُ خَشْيا) (الجوهري : خشي).

فأورده لازماً لينبه على أصله ، وجاء نعته صفة مشبهة على وزن "فَعْلان" الذي مؤنثه "فَعْلى" ، للدلالة على معنى الثبوت ، وحكى الرضي عن سيبويه ما ينزع هذا المنزع حين قال :(قال : وأمّا خَشِيْتُهُ فأنا خاشٍ ، والقياسُ خَشٍ ، فالأصلُ أيضاً : خَشِيْتُ منه ، فَحُمِلَ على "رَحِمْتُهُ" ، حمل الضّدّ على الضّدّ ، ولهذا جاء اسم الفاعل منه "خاشٍ" ، والقياسُ "خَشٍ" ، لأنّ قياس صفة اللازم من هذا الباب "فَعِلٌ" ، وكذا كان قياس مصدره "خَشْياً" ، فقيل : خَشْية ، حملاً على رَحْمة ، وكذا حُمِلَ "ساخِط" على "راضٍ" مع أنّهُ لازم ، يقال : سَخِطَ منه أو عليه) ، (الرضي : ٧٣/١).

ويرى صلاح الزعبلاويّ أنّ العلماء أجمعوا على مجيء "سَخِطَهُ" كـ "سَخِطَ منه" إذا كان معناه غَضِبَ ، لذلك كان اسم الوصف الوارد منه "ساخِط" على غير بابه ، لأنّ الفعل "سَخِطَهُ" لازم بمعناه (وأمّا خَشِيَهُ ، كـ "خَشِيَ منه" وأنّ "خاشِياً" على غير بابه ففيه نظرٌ ، ذلك أنّ "خَشِيَهُ" متعدّ معنى ولفظاً) ، (الزعبلاوي : ٢٨٤).

أقول : شاع استعمال الفعل "خَشِيَ" متعدّياً ، وقولك في صفته "خاشٍ" هو مقتضى القياس ، ففي كتاب الأفعال لابن القوطية :(خَشِيَ اللهَ : اتّقاهُ ، والشَّيءَ : خافَهُ ، وخَشِيْتُ الرَّجلَ خَشْياً : صِرْتُ أخشى منه) ، (ابن القوطية : ٢٤٢) ، ونقل ذلك ابن القطاع ، فقال :(وخَشِيَ اللهَ خَشْيةً : اتّقاهُ ، والشَّيءَ : خافَهُ ، وخَشِيْتُ الرَّجلَ خَشْياً وخشياناً : صِرْتُ أخشى منه) ، (ابن القطاع : ١٦١) ، فجعلا الأصل في هذا الفعل التّعدّي .

أمّا الوصفُ "خَشٍ" فلم يذكرْهُ جماعةٌ من العلماء ، كصاحب الصّحاح حين قال :(خَشِيَ الرّجلُ يَخْشَى خَشْيَةً ، أي خافَ ، فهو خَشْيانُ ، والمَرْأةُ خَشْيا) ، (الجوهري : خشي) ، وجاء في المصباح الذي قال :(خَشِيَ خَشْيةً : خافَ ، فهو خَشْيان ، والمَرْأةُ خَشْيا ، مثل غَضْبان وغَضْبَى) ، (الفيومي : خشي).

وأثبته آخرون كابن سيده الذي قال :(خَشِيَهُ خَشْياً ... وهو خاشٍ وخَشٍ وخَشْيان ، والأُنثى خَشْيا) ، (ابن سيده ١٤٧/٥) ، والزمخشري في قوله :(وخَشِيَ اللهَ ، وخَشِيَ منه ... ورجلٌ خاشٍ وخَشٍ وخَشْيان) ، (الزمخشري : خشي).

فإذا كان الفعل "خَشِيَ" لازماً عبَّرْتَ به عن الاضطراب والجزع ، ولم تتجاوز ذلك ، ففي التنزيل العزيز "مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى، إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى" ، (طه : ٢-٣) ، قال البيضاويّ :(لمن في قلبهِ خَشْيةٌ ورقّةٌ) ، (البيضاوي : ٢٢/٤).

فالفعل هنا لازم ، لا لعدم ذكر المفعول فحسب ، بل لعدم تقديره أيضاً ، وإذا كان الفعل "خَشِيَ" متعدّياً لم تعبّر به عمّا يعتريك من اضطراب فحسب ، بل عمّا تتوقَّعُهُ من المكروه والمحذور أيضاً ، وإذا تتبعنا الفعل "خَشِيَ" في القرآن الكريم وجدناه يتعدّى مباشرةً إلى الذي يتأتّى منه المحذور ، فتقول : خَشِيْتُ ربّي ، وخَشِيْتُ صاحبَ السّلطانِ ، قال تعالى :(ذلكَ لمَنْ يَخْشَى رَبَّهُ" (البينة : ٨) ، و"إنَّما يَخْشَى اللهَ من عبادِهِ العلماءُ" (فاطر : ٢٨).

وقد يتعدّى مباشرةً إلى المحذور نفسهِ ، فيكون بمعنى "خافَ" كما قال تعالى :(وتجارةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَها" (التوبة : ٢٤).

فالأصلُ أن تقول : خَشِيْتُ خالداً ، فتعدّيه إلى الذي يتأتّى منه المكروه ، وتقول : خِفْتُ بأسَ فلان ، فتعدّيه إلى المكروه نفسهِ ، وقال سيبويه : (وجاءوا بضدّ الزُّهد ، والغرضُ على بناء الغرض ، وذلك هَوِيَ يَهْوَى هَوى ، وهوَ هَوٍ) ، (سيبويه : ١٦/٤).

فالفعلُ "هَوِيَ" لازم ومتعدّ ، والقياسُ أنْ يأتي منه الوصف على زنة "فاعِل" و"فَعِل" ، فيقال : "هاوٍ" و"هَوٍ" ، ولكلّ من الصفتين منحاها ، (فأمّا نصُّهم على "الهَوِي" ، وإغفالهم "الهاوي" ، فقد جرى ذلك تأكيداً لدأبهم على تصيير الفرع إلى الأصل ، وأرادوا به الاستغناء بما نصّوا عمّا أغفلوا ، لكنَّ الأصل ألّا يُمْتَنعَ "الهاوِي" ، وهو صحيح قياساً ، إلّا إذا ثبت حرص العرب على الاستغناء عنه بالوصف "هَوٍ" ، ولا يستقيم هذا حتى يتواردا في الاستعمال على المحلّ الواحد ، والثّابت أنَّهم إنّما أرادوا "الهَوِي" لإرادة معناه ، ذلك أنّهم أتَوا به صفة مشبّهة على الثّبوت) ، (الزعبلاوي : ٢٥٨).

فإذا قلتَ "هاوٍ" على القياس ، فإنّك لا تعني أن تحلّه محلّه ، وإنّما تبغي دلالته على حدّ صيغته ، وتعدّي فعله ، فهما لا يتعاقبان على موضع ، قال ابن جني :(واعلم أنّ استعمال ما رفضَتْهُ العرب لاستغنائها بغيره جارٍ في حكم العربية مجرى اجتماع الضّدّين على المحلّ الواحد في حكم النظر ، وذلك أنّهما إذا كانا يعتقبانِ في اللغة على الاستعمال جرَيا مجرى الضّدين اللذين يتناوبان المحلّ الواحد ، فكما لا يجوز اجتماعهما عليه ، فكذلك لا ينبغي أن يستعمل هذان ، وأن يكتفى بأحدهما عن صاحبه) ، (ابن جني : ٣٩٧/١-٣٩٨).

وسألَ بعض الباحثين قائلاً : أليسَ في نصوصهم "هَوِيَهُ فهو هَوٍ" دليل على أنّهم أحلّوا "الهَوِي" محلّ "الهاوِي" ؟ فأجاب عن ذلك بالقول :(لا يصحُّ في طرائق العربية أن يقع "هَوٍ" الصّفة المشبّهة موقع "هاوٍ" اسم الفاعل ، فيستعاض به عنه ، ذلك أنّ الأئمّة قد نصّوا بالاستقراء على قيام اسم الفاعل مقام الصفة المشبهة ، كسَالِم من "سَلِم" ، وطاهِر من "طَهُر" ، وساخِط من "سَخِطَ" ، وتاعِس من "تَعِس" ، ولم يعكسوا ، فيحلّوا الصّفة المشبّهة محلّ اسم الفاعل ، بال أقرّوا أنّ الصّفة المشبّهة إذا جاءت من متعدّ وجب أنْ تردّ إلى لازم تؤسّس عليه ، بل ذهبوا إلى أنَّ الصفة المشبهة إذا أريد بها ما يراد باسم الفاعل من الحدوث حُوّلت إلى "فاعِل") ، (الزعبلاوي : ٢٨٦).

ومن ثَمَّ كان نصُّهم على "هَوٍ" لا يمنع من قولهم "هاوٍ" على القياس ، لأنّ لكلّ منهما منحاه ودلالَتَهُ ، فلا يتعاقبانِ على موضع ، وليس يصحُّ في العربية أن يغني "هَوٍ" مغنى "هاوٍ" .

وعرض د. مصطفى جواد لهذه المسألة ، وسألَ : لماذا لم يقولوا في الهوَى "هاوٍ" ، وظاهرُهُ التّعدّي ، فأجاب عن ذلك بالقول :(إنّ هذه الأفعال لازمة في الأصل حتماً ، ولكثرة الاستعمال الموجبة لنزع الخافض تعدّتْ) ، (الكرملي : ٤٥).

وأردف (على أنّنا لا نمنع أن يقال "هاوٍ" لأحد أمرين : أولهما نصّ جماعة من العلماء على اطّراد بناء "فاعِل" من كلّ ثلاثيّ مجرّد كما نقل الفيوميّ في خاتمة مصباحه عن ابن الحاجب وابن مالك ، وثانيهما : قول الزمخشريّ في المفصل : فإن قصدْتَ الحدوث قلتَ : حاسِن الآن أو غداً ، وكارم وطائل) ، (الكرملي : ٤٥).

أقول: مادام القياسُ يقضي بمجيء "هاوٍ" من "هَوِيَهُ" فما حاجتنا إلى حمل "هاوٍ" على مذهب من قال باطّراد مجيء "فاعل" من كلّ فعل ثلاثيّ ، وليس هو مذهب الجمهور، بل ما حاجته إلى الاعتذار بجواز تحويل الصفة المشبهة إلى اسم فاعل ، وقد خصّوا هذا بما بُنِيَ على لازم غير متعدّ بنفسه ، جاء في التنزيل العزيز:" وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ" ، (الأعراف ٦٤) ، قال أبو حيان الأندلسي :(وعَمِين من عَمِيَ القلبُ ، أي غير مستبصرين ، ويدلُّ على ثبوت هذا الوصف كونه جاء على وزن "فَعِل" ، ولو قصدت الحدث لجاء على "فاعل" ، كما جاء "ضائِق" في "ضَيِّق" ، و"ثاقِل" في "ثَقِيل" ، إذا قصدت بهما حدوث الضيق والثقل) ، (أبو حيان الأندلسيّ : ٣٢٦/٤).

ونقول في "هَوِيَ" المتعدّي : "هَوِيَهُ" ، والوصف منه "هاوٍ" على الحدوث ، قال المتنبي :

وما كلُّ هاوٍ للجميلِ بفاعلٍ ولا كلُّ فَعّالٍ له بمتَمِّمِ

والبيتُ موجود في الوساطة ، وقد اعتدَّهُ القاضي الجرجاني من مختار شعر أبي الطيب ، ولم يعبْهُ به عائب ، أو ينكره منكر (القاضي الجرجاني : ١١٧) .

أقولُ : ورد الفعل "هَوِيَ" لازماً في أقوال العلماء كما أوضحنا ، فيقال : هَوِيَ يَهْوَى ، ويكون الوصف منه على زنة "فَعِل" قياساً ، فنقول : هَوِيَ يهوَى ، فهو "هَوٍ" ، ويأتي متعدّياً ، فنقول : هَوِيَهُ يَهْواهُ ، وكان القياسُ يقتضي أن يكون الوصف منه على زنة "فاعِل" ، لأنّه ذلك هو القياس في صياغة الوصف من المتعدّي ، لكنّ المدونة اللغويّة حفظت لنا الوصف "الهَوِي" ، سواء أكان الفعل متعدّياً أو لازماً ، وأمسكت عن ذكر "الهاوِي" ، ولم نجد تعليلاً وافياً لذلك ، وربّما كان السّببُ في ترك الوصف "الهاوي" يعود إلى مراعاة أمن اللبس بين ما كان وصفاً للفعل "هَوَى يَهْوِي" بمعنى "سقط" إلى أسفل ، وهو "الهاوِي" ، وبين ما كان وصفاً للفعل "هَوِيَ يَهْوَى" بمعنى "أَحَبَّ" ، وهو "الهَوِي" ، فلو ذكروا للفعل "هَوِيَ يَهْوَى" وصفين : أحدهما للازم ، وهو "هَوٍ" ، والآخر : للمتعدّي وهو "الهاوي" ، لأدّى ذلك إلى التباس الوصف من المتعدّي ، وهو "هاوٍ" بالوصف من الفعل "هَوَى يَهْوِي" ، وهو "هاوٍ" أيضاً ، والعربية تميل إلى البيان والوضوح بعيداً عن الالتباس والغموض.

المصادر والمراجع

- أساس البلاغة للزمخشري ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م.
- أغلاط اللغويين الأقدمين ، الأب أنستاس الكرملي ، مطبعة الأيتام ، بغداد ، ١٩٣٣م.
- الأفعال لابن القطاع ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م.
- الأفعال لابن القوطية ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م.
- تاج العروس ، للزبيدي ، تحقيق مجموعة من العلماء ، الكويت.
- تصحيح الفصيح ، لابن درستويه ، تحقيق د.محمد بدوي المختون ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠٩م.
- تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق مجموعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧م.
- تفسير البيضاوي ، تحقيق محمد المرعشلي ، دار إحياء التراث ، بيروت .
- الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠م.
- شرح الرضي على الشافية ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥م.
- شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت.
- الصحاح ، للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٦٧م.
- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، عالم الكتب ، بيروت.
- قل ولا تقل ، د. مصطفى جواد ، بغداد ، ١٩٨٨م.
- الكامل في اللغة والأدب ، المبرد ، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، السعودية ، ١٩٩٨م.
- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، بيروت .
- المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده "ت٤٥٨هـ" ، تحقيق د. عبد الفتاح محمد سليم ، ود. فيصل الحفيان ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م.
- مسالك القول في النقد اللغوي ، صلاح الدين الزعبلاوي ، الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٩٨٤م.
- المصباح المنير للفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي ، تحقيق د.عبد العال سالم مكرم ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠١م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني "ت٣٩٢هـ" تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٦م.